

جمال الموسوي

مدين للصدفة



شمال

جمال الموساوي

مدين للصدفة

شعر

مدین للصدفة

- تألیف: جمال الموساوي
- لوحة الغلاف للفنانة: **Sylvie soukovatoff**
- الموقع الالكتروني للفنانة: www.soukovatoff.com
- رقم الإبداع القانوني: 2007/3130
- جميع حقوق الطبع محفوظة
- طبع وتصميم: مطبعة آنفو - برانت، 12، شارع القادسية - اللیدو - فاس

الهاتف: 035.65.72.47 / 061.20.16.41 / 035.64.17.26 الفاكس: 035.65.72.47

- البريد الالكتروني للمطبعة: infoprintfes@gmail.com

إلى أمي

انخطاف

دونما خوف
تتآكل الفكرة بين أصابع الكف الواحدة.
بينما أرجوحة تهتف بي من بعيد. الأرجوحة
ذاتها
تسكن في قلبي دائما.

كما لو أنني
أتنفس في غور سحيق مسافة أخرى.
كما لو أن دمي يعيدني إلى الغروب
منفردا بخطوات مؤلمة، بصلاة أهلة
بالكلام. وبوردة تسيح على سياج من بهاء.

لو أثير الآن، في هذه الصورة،
وجه امرأة تلوح بعينيها إلى شمس الخريف
لو أستطيع محو اللغة المعنمة
لاحتضنت عتبات الخوف
ولأشعلت لي جسدا من حنين ومن بهاء.

غير أن الفكرة، في هذه اللحظة، احتقلت بي
والعالمُ
خراب مسرف في السهو:
أين
تقيم أيها الضوء؟

كلما أوصد القلب بابيه
واعدني الشفق.

كلما واعدني الشفق
ارتقيت الفجوة التي تعود بي
إلى
حيث
لا أرى.
وكلما ارتقيت كان الموت صديقي الفرد.

هكذا أخيت المساء
لأنصت للحيوانات المقيمة على شفا ليلة
لأكتب عن الصاعدين إليّ من الفجر
لأقول
ثمة حلم معتم في السريرة
يرتب أشلاءه في انخفاف العين
أو في انسحاب النور.

ذاكرة الشاعر الأنيق

إلى محمود درويش

شكرا
لغيمة في وضح الذاكرة
تعد نفسها للطريق.
المرأة
مطفأة
لا تقول له شيئا
عن وجه يرقى في الظلمات
عن سفر العمر في الجسد المتعب
عن خسارات جسورة ما فتئت
تنشب أوجاعها في دمه...

كان له
سرب أحلام ملونة وخفايا
لا تدركها عين. كان له جنة قاب الفيض
تؤتي نعيمها. كان له أيضا مدارات
تشبه ما لا يتسع القلب له من فرح. كان
له...

كان له...
أن يحشد أسئلة
أن يمدح نفسه في حذر من الآخرين
خوف أن يخطفوا حمامات من أجوبة
لم يعرفها أبدا. عن وجود ناقص
وعن هواجس مبهمة
عن مرفأ من حنين
له سحر،
عن حدث بعيد
حيث تشتبك الحواس من

أجل غيمة من الضوء.
عن ظنون كثيرة من أجل أن
يفتح العقل ستائر الغيب
عن سرير لأفكار مدمرة
عن أحلام ملبدة بأجراس النبوءة،
أجراس عنها قلب الشاعر يفيض
في صحراء الأبدية. ويحلم
بجحيم وافر.
باللعنة.

وبكلمات يقول إنها متمردة
على الشكل
وأیضا على الجوهر المسيح بالغبار،
يحلم بريح من الشك تزحف إليه
ويتساءل مع الغيمة التي تغسل دمه
كل فجر
عن سره

عن مكن السهو الذي لا يبرحه.
وأحيانا ينسج مع الموت وشيجة قربي
كي ينسى جحيمه
ويسرح في العالم مليئاً بالعزلة.

الوهم

الوهم الذي يرتج هناك
يقترّب... الحروف لا تتسع أكثر
وخطاي بلا أثر
في الأرض،
لذلك أحشد من الطين
ما يكفي،
ومن مطر،
وأهمس للريح أن تمنحني
مهلة
كي أرتب حربي
على بوابة الخلود

وأبحث عن نصيبي من الغنيمة
لم أعد أبصر الكثير مما كان

لم أعد أسرف في التطلع إلى شرفة بيضاء
كانت هناك.

الوهم صار أوضح
الأرض تضيق تحت القدمين
ونصيبي لم يصل
مازلت على الجمره أترقب السماء
والليل
والغسق

هل صار الصبح أبعد
هل فرّ الحلم ثانية إلى غيمته؟

سأحشد، إذن مزيداً من الطين
وما يكفي من المطر.

زهرة اليأس

في صباح المدينة المتعب
الحكمة ليست ضالتي.
والموسيقى التي لا أحب
طريق أخرى، بلا أي علامة، نحو
جحيمي... أراكم ورأيت أيتها الآخرون
تعدون المنافي، وتشتقون الفكرة في رأسي
أراكم تسرقون في الغفلة رؤى من منبذي.
أراكم تنسجون سيرة الليل
من قميص العزلة الذي يجلل متوقد الدهشة
في عيني...
في العينين اللتين تعيدان في العتمة تشكيل
العالم.

فِي صَبَاحِ الْمَدِينَةِ شَمْسٌ خَلْفَ حِجَابٍ
بَيْنَمَا فِي أَقْصَى الْغَيْطِ يَحْتَسِدُ الْآخَرُونَ
فِي خَاخِئِ وَمَنَافِي، وَأَنَا أَحْشُرُ، فِي صُورِ هَارِبَةٍ
إِلَى الْأَمْسِ، أَنْفَ الْقَصِيدَةِ:

تِلْكَ الْمَنَابِدُ لِلشَّاعِرِ
لَهُ هُوَ الْكَائِنُ الْمُتَخَمُّ بِالْمَعْنَى وَالْغِيَابُ
لِعَيْنَيْهِ اللَّتَيْنِ لَا يَمْلَأُهُمَا إِلَّا التَّرَابُ
لِقَلْبِهِ وَأَفْقِهِ الْوَاسِعَيْنِ.

تِلْكَ الْمَنَابِدُ
لَهُ هُوَ الَّذِي لَا يَمْلِكُ مَا يُقَدِّمُ وَلَا مَا يُؤَخِّرُ
لَأَغْنِيَتِهِ الَّتِي يُرَوِّحُ بِهَا عَنْ نَفْسِهِ فِي مَعْرَكَةٍ
غَيْرِ مُتَكَافِئَةٍ مَعَ الْقَارِئِ الَّذِي يَسْخَرُ مِنْهُ فِي
كُلِّ زَاوِيَةٍ،
عَلَى غِلَافِ الْكِتَابِ
أَوْ فِي الْجَرِيدَةِ،

لَأْمْنِيَّةٍ لَا تَعْدُو جَنَازَةَ تَلِيْقٍ بِفَيْضِ عُرْلَةٍ
أَصَابِعِهِ، وَمُعَزِّينَ فِي مَوْكِبٍ مُحْتَرَمٍ
يَدْحَضُ مَا يُقَالُ
عَنْ أَنَّ الشَّاعِرَ
كَائِنٌ يَتَشَبَّهُ بِالْخِيَالِ أَكْثَرَ
أَوْ أَنَّهُ يَدَّعِي فُذْرَةَ عَلَى رُؤْيَا أَبْعَدَ مِنْ أَنْفِهِ
أَوْ أَنْفِ حَبِيبَتِهِ عَلَى الْأَكْثَرِ
أَوْ مَا يُقَالُ عَنْ أَنَّهُ يَأْتِي بِالْكَلِمَاتِ مِنْ جَرَابٍ
غَيْرِ مُتَاحٍ لِلْآخِرِينَ،
أَوْ عَنْ أَنَّهُ يَسْرِقُ مِنَ الدَّهْشَةِ بَعْضَ مَا يَرَاهُ
مُنَاسِبًا لِيَجْعَلَ النَّاسَ فِي بَلْبَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ
وَيَدَّعِي بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى مَا يُرَامُ

تِلْكَ الْمَنَابِدُ لِلشَّاعِرِ
وَالْآخَرُونَ الَّذِينَ لَا يَتَبَيَّنُهُمْ
يُطَارِدُونَهُ فِي صَبَاحِ الْمَدِينَةِ، دَائِمًا،

بَأْيَابٍ وَمَخَالِبٍ
وَيَشْرَبُونَ عَلَى جُثَّتِهِ أَنْخَابًا لِحُلْمٍ لَا يَتَحَقَّقُ.

هَكَذَا هُمُ الْآخِرُونَ
أَسْتَعِيدُهُمْ مِنْ وُجُودٍ غَيْرِ مُحْتَمَلٍ
أَوْ مِنْ احْتِمَالٍ أَنْ تَكُونَ لِلْعَدَمِ حِكْمَةٌ
عَلَيَّ أَنْ أَحْرُسَهَا
وَمَا يَبْقَى مِنْ تَرْكَةِ الْيَائِسِ
عَلَى الرَّصِيفِ الْمَلْتَبِسِ
لِحَيَوَاتٍ تَتَشَابَهُ أَوْ تَتطَابَقُ.

ظل ما مر

الحياة
لعبة أخرى.
الموت صديق بلا مقدمات
نلتقي في الممر الضيق
في آخر الليل
في أول الصباح
” لم أتعب
لكن الشمس عبرت
سريعة باتجاه النهر ”
خلفها فراشات زرقاء
وفراشات ملونة،

تلك أحلام اليقظة
وهذه سنوات هادرة
فيها التعيسة
وفيها ما شابه النعيم،

والآن، أقف رأساً لرأس أمام المرأة
لا أراني.
أراني آخر في ذاتي.
كيف ارتقيت المنعرج الحاسم
ومررتُ مني إليّ؟
كيف انشطرتُ وانسجمتُ واندمجتُ
صار ما كنتُ ما أنا الآن:
ظلاً لِمَا مرَّ
وحنيناً لِمَا لا أجدُ

كن

كن كما أشتهي
غيمة لا تعدُّ
جرسا يدق لا لصلاة،
يدق فقط كي يهتزّ القلب.

لا تكن طريقا إلى النهار
ولا بابا للشوق إلى ما لا أجد.

كن هناك قرب عتمة في
الروح. قرب ما يفرّ إلى الضوء
من أحلام، ومن سلام لا يدرك.

كن لي شظية
كي أبحث عن أعضائي في هذا
الأفق
وكي أسرق وقتا للتأمل
في بعض خلاياي.

كن كما أشتهي
غامضا كغد ذي قرنين.
واضحا كما لا أحب أن أكون.

لا تكن أغنية لطلل
ولا وترا في عود قديم.

شبح المعنى

يعدني ببوارج كثيرة
في حروب غائمة.
ويغفو على عادة الجنرالات
على حافة الأحلام الكبيرة
لعله يفتح معركة أخرى
في الجبهة العذراء.

وبلا مقدمات
بلا موارد
يعترف

بأكثر من هفوة في الطريق
إلى خلاص لم يكن ليتبين ملامحه.

كان المعنى
- في مجمله - يشبه وطننا
يحرسه الحنين

كان المعنى
يختصر الوقت
والمسافة
وكل التفاهات الأخرى
ويدخل إلى نفسه محفوفاً بخطاياها
ويقرأ كتابه في عزلة خالصة.

سيتسنى لي - بعيداً عنه - أن
أشكل من جديد وجهه
وأن ألتدّ بتلميع ملامحه.

سيتسنى لي - أيضا- أن
أسرق بعض أعلامه من
مخازن الضوء في ذاكرته المليئة.
وبعض
السرايات الممكنة من كيس الخسارات
في قلبه.
وسيتسنى لي أن أعانقه على حافة
فكرة مجنونة تماما
تجتاز الجبهة إلى أقصاها.

فرح لا يصل

الأفق دخان.
رماد القلب مازال حارقاً
أمم من الأحزان، كلها تفتش في
صدري عن عجر بعيدين.
بينما أنا أنفق مثل حيوان بائس
على أرصفة في الطريق إلى جحيمي الخاص
أرتب السنوات
واحدة
فوق
أخرى
ثم أقرضها مثل فأر أخرق

وبعد كل هذا. بعد ميلاد ناقص.
بعد أشياء تافهة في العمر.
بعد كلمات المديح
لامرأة في أقصى الغيمة
أصرف ما تبقى من القلب في جمع الأمنيات
أقول:
لو كان لي أنا الآخر أن أكتب كوميديا
لو كان ليدي أن تُشَلَّ في الطريق إلى أفق
آخر
أو كان للورقة أن تبكي سفري في تيه النفس
كم كنت سأبدو غريبا:
أمم من الأحزان حولي
وقلبي يحلق في اشتباك الغيمات،

يقول:
أيتها الريح
رفقا بي من فزع الموت.
من ندف لاتصل
من الفرخ.

أربع قصائد
إلى عبد السلام المساوي
قريباً... في دم الشعر

1- الشاعر

الرجل الأنيق في نافذة الحياة
الرجل الذي يدخن العمر كله على
كرسي وحيدا في حديقة الأفكار
يسرح في الأفق
نحو غمام عابر،
يسقط مع البحر في قطرة من العشق
ويغرق في القلق.

ذلك الرجل الأنيق
نفسه،
باللغة المشتاقة
بحروفه الفوارة
يستفيق على حلم من البياض الفاضح.
كانت الجنة قاب يديه
كانت أوسع، في خياله، فوق حدود التصور
وكانت... في الحلم أشجار من الفرحة،
لا حدود له،
وكانت ثمة أشياء لا يتذكرها
- نايات مثلاً -
...

قال الرجل الأنيق، في سره، وهو يستقبل
الصحو،
لا حدود أيضا للحزن.
وأسرف في تدخين العمر كله
على كرسي مكسور في حديقة الأفكار.

2- الأرض

قال الشاعر:
لو أنها وقفتُ

واستدارت إليّ،
يكون لي أن أتأملها
قليلاً، ويكون لي
أن ألمح في عمقها

حيرة الكون،
يكون لي أن أتساءل

كيف، بعد هذا العمر ،
لم تنفجر من الملل؟

كيف لم تتعب من الدوران في الفراغ؟

قال الشاعر:
لو أنها وقفت
لن أبصر النجوم تقتحم سقف الفكرة.
ولن تجد القصيدة شمسا

تأخذها إلى بحرها اللانهائي

3- الحياة

ماذا أفعل بها
بعد كل هذا الخرف؟

ليس أمامها وقت كي تنتظر
ليس أمامي عمر آخر
كي أصدق أنني اختبرت نواياي.
نواياي كلها.

نتشابك في الظل، كما في الضوء،
نجوما رائقة وأراجيح عالية للشك:

فادحة كل المرايا

واضح هذا التعب

فماذا

أفعل بالشفق الهارب

في شجون النهار؟

4- العالم

يتدحرج من غيمة الشك،
هكذا ينسل في ارتباك الوقت
متقلا بالألم

في عمق الرؤيا
مناطق مظلمة تماما
وأحلام ينسبها الشاعر
- عبثا- إليه...
أي أحلام هذه التي تنسف نفسها في الهواء
البارد لصباح غارب في قبضة الليل الطويل؟

لم يفكر أحد في ما يشبه السواد الأعظم
في حروب شتى على جبهات القلب

في جرحى اليقين الممغن في التوتر
في قتلى القضايا الخاسرة...

العالم

يتدحرج، وحده،

إلى بحر الشك،

لا يفكر في نفسه، حتى.

شجرة القلب

يصعب
أن تجيء مع الفجوة. أن
تسبح في بلاغة الريح.
يصعب أيها القلب...
أن تسرح الفراشات في هدوء اللغة.
سأنسى أنك مدين للصدفة
بي
وأشفع، هكذا دونما جدارة، لهذا
السفر المربك:

كل نداء أفق
وكل طريق مديح أنيق لشرفة
في البهاء الوديع.

يصعب، أيها القلب،
أن تصعد الشهقة إلى آخرها
كم بهي صعود الغيمة في
يديّ. سأنشرها بساطا للروح.
لحزنها. لحيرة القلق الفجّ. لطفل
يقتاد يرقات الصحو
إليّ. لعاشقة لي سرها.
هكذا أيها القلب، أليق بالشفق.

المعتصم العلوي

بأساك الغامض
وسخطك
بعيونك
وضحكك الثابتة
بما أشرعت من المحبة
وما أبقيت في القلب من الغناء
بالروح تتكئ على عكاز الزمن
وبالصمت يحضن الأفق
في المطلق.

ما زالت الشرفة البعيدة،
الشرفة التي لا يطل منها أحد،
الشرفة التي يملأها بياض،
الشرفة التي لا يسكنها إلا الأشباح،
الشرفة التي أراك في عزلتها،
تفتح للعابرين خزائن الأسرار.

كيف تشرق الشمس؟
تتداخل الجهات
وتتكسر المرايا
هذا الوجه
ليس
لي.

كيف تشرق الشمس؟
القلب على العتبات
الأبواب لم أجد لها على
مرمى حجر، كما يقال،
الأشباح فقط تهدد الكون

وتشتعل
بالحنين؛
هذا الوجه لك.
وجهي في المرأة
أم وجهك؟

الموت صديق باذخ
الموت حديقة المتعبين
أرض للصاعدين

الواجدين.

الجنة على بعد قصيدة،
وأنا ما زلت على الدرجات،
أصعد، في الجهات المتداخلة،
أخال الشروق
بعض حريق.

* المعتصم العلوي شاعر صديق فقدناه في حادث قلب يوم
2003/11/8

قلب الأعمى

ماذا ترىين؟

المساءات عائدهُ ببهائها المنسيّ،
وأشياءونا الصغیرهُ،
الأشياء التي نحرصها من ضربات الشمس
الأشياء التي ما زالت تبحث عن مخبأ في
خيمة الجسد.

ماذا ترين؟

بدءاً، تتوقف الحواسُ والرغبات
وأسقطُ ما أراه كفيلاً بك من الجنون
والعتمة،

الغابات هنا،

وحديث عن الغامض في الكائن
ربما سنشعل النار في الكون
وربما سننشغل بحديقة التعب،

هنا الغابات

وليلٌ

وأنا

رأيت في ما يرى الأعمى
شرفة من بياض فمضيتُ،

طريقاً، لا تحدُّ، من الظلمةِ
وصحراءَ واسعة،

فوددتُ
لو أنّ
لي،
ما للأعمى،
عينين مطفأتين
وقلبا يستدرجُ الحواسَّ وغاباتٍ لا حسيّة.

ماذا ترين؟

إنهم يقرعون الأجراس بداخلي. وينتبدون
أمكنة
قصية. إنهم يجتمعون في مدارج الخروج

ربما
سيحلمون برُعودٍ وبُروقٍ
وبشموسٍ تقُعُ
ونيرانٍ في الأخضر واليابس
وحياةٍ لا تبقي ولا تذرُ.
إنهم يقرعون أجراسهم.
الكوابيس تطلُّ من شرفة بيضاء
والغابات تزحفُ.

ماذا ترين؟

آفاق من طيور
وطوابير من قصائد تلهثُ
أجنحة ترفُّ (تلك أجنحة الزوال).
مسالك من نور ومسالك من عتمة.

أناس خارجون من أقبيةٍ
وأناس داخلون.

مساءت جميلة
وصباحاتٌ أخبئها على حافة رؤيا قد تتحققُ
صباحات، في النهاية، قد تكون كل ما يراه
الأعمى.

لست وحدك في الهجير

-1-

لست وحدك، دائماً، في الهجير.
أحياناً، تعتقد أنه بإمكانك الوقوف في
الوسط... هراء.
المستقع هو دائماً. فقط، أن تقف على حافته
ليس هو أن تسبح فيه.
تعتقد أنك لاشيء، فتكتشف أن الحديث حولك
يطول شرحه.

تعتقد أنك أكثر من شيء، فنكتشف، في
منعطف ما، أن الحديث حولك يطول، أيضا،
شرحه؟

بين هذا وذاك، يكون عليك أن تتذوق طعم
الضياع.

الأمس شرخ _ قل _ عميق. اليوم سيمر
بشكل عادي، لذلك عليك فقط أن ترتجل الغد
دائما.

انظر، ثمة منطقة غامضة. هي ليست قلبك
بالتأكيد.

هل لأنك لم تجد مرآة... وجهك مخدوش هذا
الصباح؟

تأمل... لست وحدك من تجر الساعات إلى
الزوال.

ألأنك محاط بالهشاشة تسند ظهرك إلى...
حائط متداع اتقاء للسقوط؟

قلتَ السقوط... سلم الدخان لا بد له من
ريح.
ارتق ارتق... لكن فقط إلى أعماقك. السماء
هناك.. والبحر أيضا.
الحسنات يذهبن السيئات في ميزان الإله.
الخطأ. في ميزان البشر، يجبُّ ما قبله من
الحسنات.
الوقت ظلام. الطريق متاهة مظلمة... وما
بصرك بحديد.
تريد، أحيانا، أن تضع نفسك ضد التيار... يا
لسوء التقدير. التيار معك.
كيف ستهتدي إلى اللغة إذا لم تهتد إلى
نفسك؟
لغتك، في الكتابة كما في الكلام، ما أنت.

كن خارجك، أحيانا، إذا شئت أن تتجلى
لداخلك.

أنت مشدود إليها بخيط واه، لذلك فهي، أعني
الحياة، لا تستحق ذرة أسف.
ما حضورك هنا. هذه ليست حربك؟
انتبه... ألا ترى دمك على الورقة.
كن أعمى، إذا شئت، لكن، من فضلك، دع
قلبك يتصرف.

تشنقك بحبل ... الندم
استعد... الهواء لا يصل.
الموت، أن تراك لا أنت هنا، لا أنت هناك
أن تمد عينيك إلى السماء، فتجد الأرض لا
غير.

توقع ما تشتهي من الألم..
البكاء يغسل القلب... لكنه يلهب العينين.
هل يمكنك أن تسرح الأيام إلى النسيان؟
تلك الشجرة، في ظلها يكون عليك أن تموت
من الأسف.

أقبل، إذن، من الجهة التي فيها يتشكل
السؤال.

أقبل من غموضك البعيد واعترف
يكون الفراغ، أحياناً، أقوى
وأنت ما زلت في الساحة الخالية تؤلبك عليك.

تشنّفك بحبل... الندم.
لا تكترث... هكذا تأتي الزهور إلى
المزهرية.
شئت أم لا، لن تدخرك الكارثة
ما بالك نهبا للهواجس، لست خارج اليقين.
انظر... المرأة لم تبدل صورتك.
القلب يشبك شرايينه ويمدك بالحقيقة.
ر، إلى المستنقع، إذن، بعين غير عينيك.
كم أنت مرهف. كم أنت ساذج.
انتبه... الحروب حولك فلم تنقلها إلى داخلك؟

2005/3/8

في جناح الغيمة تخبئ الشمس برودتها

لم يرك
أحد تتحدثين إلى شجر
الشجر ذي الروح المرهقة.
لم يرك
أحد حين أوقعك
على ركبتيه الهواء.

لم يرك أحد
غير أن دفنر الوقت
كان
يصغي

لوشوشة الفجر

كان
كلما أيقظته نسمة
فر
إلى
داخله.

أما الآن، وقد سحب النهار
الشمس إلى سريره
هاهي الخفافيش
تشعل
بهجتها،
ها
هي الخفافيش
تدخل الشفق،
بكامل حصانتها،

فلتقفوا في الممر الضيق
أيها الزاهبون وحدهم
إلى نشيد الدهشة،
ثمة وجه يكور خرافته
بيدين من سراب
ويوقن، في غفلة الوقت،
بالدخول
إلى حفلة في المساء
كأنه، الآن، من
فرط
وضاءته،
يعيد السماء
إلى وحشته،
في جناح الغيمة،
أو كأنه يخطف نجمة يتيمة
لليلته.

وجه آخر للمساء

بلا هو اجس .
أنت . باشتباك السحاب في قلبين
قرينين . ما الذي يدعو الليلة للقلق
غير أن تشرح السماء ما حولها
من رماد العالم .
من أفراح يقودها الحزن لمأتم بعيد؟
مالذي تريد النجوم قوله
لعين تريد أن تنام قليلا
وأن تمسح تعب نهار يليق بالغضب؟

أنت
مليئة بالهواء البارد
تبحث في المرأة عن وجه آخر

للمساء...

عن صخب محتمل في القلب.
أنت، بلا هواجس
لكن العالم كان قلقا إلى حد بعيد
وحانقا على العالم،
فإلى أي حدّ، يليقُ بالموت أن ينجح في
اغتيال الولادة. وأن تصدمه الهزيمة
على باب الروح العالية؟

كانت طيور الليل، هناك، في قبو ضاحٍ
تفضّ فرح الأصابع بالهواء، وبالقبض
على موجة عارمة من المسافات المذهلة
ومن القلق الذي لا ينتهي.

فسيفساء

-1-

المرأة النائمة
النافذة المسدلة
والمصباح الذي يشوش
على الظلمة.
كل هذه الظلال
تفتتح نهار الشاعر الذي يبدو أكثر سعادة

-2-

بإمكانه الطيران إلى الشمس.
هكذا
ينحو إلى القداسة
يمجد السلالات الطائشة.

-3-

اللقطاء. المجانين. صرعى الحب.
هؤلاء
نسغ أفكاره.

-4-

يشغلون سماء ما يقول
ويبعثرون ما يرى
وما لا يرى.
هذه طريق تنسيه غياب المشيئة.

-5-

المشيئة، بهتان قديم.
هنا
لا يحيا أحد غيرهم.
شعراء يحلبون الليل
عشاق يحلمون كيفما اتفق
وموتى لا ينزعجون.

-6-

الشعراء
كتيبة لا يلائمها الرصاص.
العشاق
لا معنى لهم إن لم يكونوا كذلك.
الموتى
خليط متقارب على الأقل.

-7-

هؤلاء
كلهم، يستدرجون الحياة.

مدارج القلق

-1-

بأودية كثيرة من الرغبات
يتألق مصباح الجسد.

-2-

بأوهام غامضة تُدعى الأحلام
يشتعل السرير في ليل الكلام.

-3-

كلما سنحت للشاعر غيمة
أدخلها جيب الشعور.

-4-

يتعثر المطر في قوس قزح ماكر
فيسكنُ الشاعرُ بحر القلق.

-5-

قولي لي، متى تقلع الريحُ
عن مضايقة أجنحتي؟
قال نورس حزين لموجة متكسرة.

-6-

قولي لي، أيتها الموجهة،
أن أحرسَ نجمةَ الأفق من الغرق.
أن أسبحَ حتى النهاية
أن أرتقيَ السماوات القصية كلَّها
باحثاً عن خيالٍ لا يجنحُ بي
في الفراغ.

-7-

قولي لي
أن أشردَ بلا ضفافٍ
على عواهن النهر
هكذا، ربما، سأهتدي
إلى حتف الضرورة،
إلى موت بلا ضجيج كبير.

-8-

قولي لي، أيتها الموجة
لماذا يوثثُ جسدي المكانَ كلَّه؟
لماذا يتدرج المكان
في وهم يشبه ليلاً عابراً
ويتلاشى في هدوء؟

-9-

قولي لي، أيتها الموجة المنكسرة.

كرسي من هواء

بينما أستلقي خلف غيمة عابرة
ينساب من نافذتي مطر مخنوق،
قلب مترع بالفراغات.
أوشح ظلي بالوشاية
أسرق الغيمة من برجها
في الأفق المترف بالكلام
(ثمة شاعر يقرأ كف الوقت
وحيدا...
وحيدا تحت جناح القلق النافر
تضيء أصابعه في عتمة الكون
وينتظر
في البعيد أشجارا تملأ وجه البياض).

بينما العنمة تَلْفُ مرآياي
ينحدر من فتنتها شفق
أوشك أن أستعيد إشارته من
خفقة الأزل
كيف أمحي
والرماد لم يزل
في الهواء المترب ولم أزل
على حافة الوقت ملفوفا بضوء الشفق؟

ريحٌ تشعل في الوقت شهقتها
كي تتدحرج الأشباح
من الجهات كلها
وتسبح في الفلك ذاته
نحو الصباح
(أيتها الشمسُ التي لا تدركها النجومُ
لم تشرقين في عينيَّ، هكذا،
بينما أصغي لهسيس الروح؟).

أَيُّ رَجَّةٍ تَهْتَفُ بِي
وَالْمَاءَ الَّذِي فِي خَلَايَايَ
يُنْسَابُ فَوْقَ ظِلَالِ يَدَيَّ،
وَيُلْقِي تَحِيَّتَهُ لِرَقْمِ أَوَّلِ
عَلَى الْجِدَارِ.
أَيُّ رَجَّةٍ تَتَأَكَلُ فِي سَعَتِهَا الْكَائِنَاتُ؟.

هناك

فِي كِتَابِ مَغْبَرٍ
أَرَى اسْمًا مَنقُلاً بِالسِّنِينَ
كَأَنِّي أُنْدَلِقُ مِنْ شَطَايَا
أَوْ
أُحْتَدِمُ فِي الْهَوَاءِ
تَلْفَ جَسْمِي أَحْلَامَ الظَّهِيرَةِ
بَيْنَمَا تَشْتَعِلُ فِي النُّسِيَانِ
أَمِيرَاتُ كَثِيرَاتُ تَوَجَّهْنَ حَجْرٌ مَحْرُوقٌ.

ليس تماما يا أمي

لا، ليس تماما يا أمي،
تظنين أنني سيء الطبع إلى هذا الحدّ
وأنتي مولع بالهاتف للفراغ
وأنتي لا أعرف الطريق
التي ينبغي أن تكون طريقي،
وأنتي أسرف في الطاعة للظلال
وأنتي بلا شبيه في البرية.

لا، ليس تماما يا أمي،
لكنني مخطئ.
لا داعي لتسفيه حسن ظنك،
فالمسافة رفيعة إلى حدّ التلاشي
بين ظنك وما أريد،

وخطواتي ضئيلة
ويدي،
ما في يدي حيلة كي أركب العالم
كما يحلو للغيمة التي ترهق كاهلي.

لا، ليس تماما يا أمي،
أنني أحضن الكون بين شفتيَّ
كما قد أدّعي في لحظة انفصام
أو أنني أوشك على القفز
في مهاوي الكلام.

لا، ليس تماما يا أمي،
لكنني مخطئُ
أو غيرُ مقنع على الأقلّ.
السماء البعيدة مرمى خطاي
والأرضُ نعلي،

لذلك أكتنز السحاب لسفر

محتمل

وأشجُبُ صداقتَهُ للريحِ.

صرنا نقيضين: أنا والريحُ،

أستبطنُ العمرَ

وتسرق سنواته

تباعاً.

لا، ليس تماماً يا أمي،

بدأتُ، أنا الآخرُ، انجرافي نحوَ الهاوية،

وتماماً كما لو في قصةٍ ملفقةٍ،

وجهي أبيضُ كغمامةٍ

وضحكتي تسخرُ من الصباح

حيثُ الفرح لم يعدْ مجدياً، كما كان.

بدأتُ يا أمي،

تركتُ أحلاماً لتنمو في الأرض

تركتُ الشمس تمعن في قسوتها،

وانجرفت... أمسك الكون من حاجبيه الكئيبين.

لا، ليس تماما يا أمي،

كيف أصدقُ

أنني قاس إلى هذا الحدُ

وأنتي سيء الطبع، تماما، كما تظنين

وأنتي مسرفٌ في العصيان

وفي الطاعة لظلالٍ غامضةٍ،

وأنتي

لا أقوى

على رؤية السقف الذي وضعته

لأحلامي،

التي لم تكن سوى أحلامك.

لا، ليس تماما يا أمي،

أنتي أشدُّ السنوات من الدنيا

وأنتي أمعنُ في التسكع داخل مدار اللغة

كي أدرك المعنى
وكي أعر على نصيبي من غنيمه الكلام.

لا، ليس تماما يا أمي،
أن سقف الأحلام لا يدرك
لكنني مخطئ
أدعي أن الحياة صغيرة إلى حد البشاعة
وأن العالم شديد البؤس
ومصاب بدوار،
بينما الأمر، في النهاية،
أنك، يا أمي، تظنين أنني سيء الطبع
وأن أحلامي مسيئة
وأنك تظنين، أيضاً، أن بيدي حيلة
وأن الكون بين شفتي:
كن.

قريباً... على أجنحة الزوال

(ماذا يهم دوام العدم إذا كانت مثابرة أفضل الناس لا تتال إلا
أقرب الأشياء إلى الزوال)

أندري مالرو

-1-

في الفجوة إياها
يتدحرج ليل
منقل بالخواطر:

-2-

قريباً من الفجر
ماذا يقول الورق؟
لي؟

-3-

ليس ثمّة ما أثق
في شكله:

-4-

الظلال
أشجار ميتة
أشباح تتبع الشمس
إلى بيت الغروب:

-5-

أفسحُ للحلم،
أفسحُ قليلاً،
أيها النهار:

-6-

سنابل من ضوء
نجوم هاربة
قمرٌ مرهقٌ. سماواتٌ بأجراس وافرّة:

-7-

هكذا
يبحث قلب السهران
عن غيمةٍ وحيه:

-8-

ماذا يقول الورق
لي
قريبا من الفجر؟

-9-

أنْ أَعْرِقَ
في الألم أكثر. أنْ
أسرح. بلا حدّ. في التشديد. وأنْ
أُوخِّرَ إلى أجل قريب كلَّ شيء. وأنْ
أفيءَ إلى الروح على أجنحة الزوال.

كن للوداع

للريح، لا تفتح
صدرك،
للمس، لا تُصغ
أكثرَ من لحظةٍ مسروقةٍ،
للوداع، لا تقلُ مع الأسفِ.

العمر ينتعلُ
الريحَ ويسبقُ الشمسَ
إلى المغيبِ.

ثَمَّةَ أَمْرٍ آخِرُ
لَا تُشِيرُ بِعَيْنَيْكَ إِلَّا
إِلَى مَا... لَا تَرَاهُ.

الْأَفْقُ دَخَانٌ
فَانظُرْ كَيْفَ تَأْتِي عَلَى الْأَيَّامِ
النَّيْرَانُ
وَانظُرْ إِلَيْكَ
كَيْفَ يَصْطَادُكَ اللَّهْبُ.

لِلرِّيحِ، أُنْشِدْ
مَوْجَةَ الْحُزْنِ وَانْتَشِ
بِالْفِكْرَةِ الْوَاضِحَةِ.

للوداع، أدرُ وجهك
ما من تفاوتٍ
في اليمين
في اليسارُ

ما من حدٍّ ثابتٍ في الوسطِ

للوداع كنّ.
وكنّ لكونك الذي أنت خالقه
ولا تتركِ الريح تأخذك إلى المغيبِ.

واضحا أزحف إليك أيها القلق

أختلف إلى الصمت،
وإلى شغب الداخل. فراشات
كثيرة من القلق على صدري،
فأيكم أيها الأصدقاء غير الودودين،
أيكم
سيقل باب الغياب
خلف خطوتي الأخيرة؟
أيكم، أيها الكثيرون في الهباء الأليف،
سيُنقُ كلمات لتعزية الوقت؟

كلما
شحذتُ فكرة أن أصل
في الغد إلى حيث يريد التيه
لا أصلُ.
لا أصل مَنبذَ الروح في ظلماتِ
الجسدُ.

وكلما
نظرت
كي أرى وجه النهار
في صحو براءتي الأولى
قتلتُ كلَّ أطفال الغيمة الأنيقة في
ألبي
واكتفيت ببهاء الألق الذي كانَ.

أَيْكُمْ
سَيَنْفِقُ مَعِي فِي الطَّرِيقِ إِلَى
أَوَّلِ الصَّمْتِ؟
أَيْكُمْ، أَيُّهَا الْحَمَقِيُّ الْجَمِيلُونَ،
سَيُشِيخُ بَوَجْهِ اللُّغَةِ
عَنْ رَغْبَتِي فِي تَقْصِيِّ الْمَحْوِ
وَفِي الْعُبُورِ إِلَى جَلالِ الْعَدَمِ الْقَرِيبِ؟

لَا شَكَّ،
فِي أَقْصَى الْكَلِمَاتِ سَتَجْمَعُونَ شَطَايَايَ:
الرَّهْبَةَ أَوْارِ
وَالْمَوْتَ نَدِيمًا
وَالكَلَامَ لَا يَفِي بِكُلِّ شَيْءٍ
وَأَنَا،
أَنَا نَفْسِي،
مِنْ وَرَاءِ الْأَفْقِ الرَّمَادِيِّ

أَوِ الْأَزْرَقِ
أَمْطِرُ
أَوْ أَحْمُ
بِمَطَرٍ يَلِيْقُ بِقَلْقِ الْعَالَمِ.

أنسابٌ منتخبة

يأكل الشوق قلبي .
في البريد أنثى تسحبُ شمس الروح
إلى غيمتها ،
وتتواطأ مع الليل
كي تهربَ خطوات الصمت
بي
إلى حنفٍ مؤجلٍ .
إلى رغبةٍ أخيرةٍ
في النزول
من شجرة الحلم ،
فأيهما
يعرفُ أن الحواسَّ التَّبَسَّتْ
في مهبِّ العزلةِ

وارتجلتُ رحيلا
واختلقتُ للحزن أسبابا شتى؟

أيُّهما
قلقٌ من فراغٍ محتملٍ
من هباءٍ صفيقٍ يقتحم سقف الصورة؟

أيُّهما
كان يرقب أن تأفل الروح
وحيدة، كي ينفرد بالشمس؟

أيُّهما
أسرف في الوطأة
فتجلى طيفا في سماء القسوة؟

شوقي إلى رذاذ إيقاعها
أم قصيدة تبعثر أوراق الشكل؟

رتابة

أحيانا أزحف باتجاه الغيم. الصباح،
في الغالب، بطيء. وسيارة الأجرة
تختزل كل شيء
حين تصطدم بجدار يليق
بالخيال... الغيم
لا يزال على حاله منذ صباح أمس
حيث تركت أصدقائي يسقطون
خارج جيبي.
ماذا كانوا يريدون، هناك؟

على انعكاس الصورة.
وعلى غير ما يتوقع الجميع
أتحول إلى تمثال من الشمع
كي يستضيء الجميع
في آخر النهار،
وفي أول النهار
إلى شوكولاتة لطفل يسرح في حدود
الروح.
أحبُّه. الكثيرون مروا على هذا القلب،
عبروا إلى الزحام غير عابئين بالماراة
الآخرين
وهم يزدحمون
خارج أفقي.
ماذا سيفعلون في الخارج، هناك؟

كلما فكرتُ،
أنسني الغيابُ. له المدائح كلها.
له أيضا رائحة تشبه سكرة العدم الأخرق.
له ما يليق بجنازة واحدة لكل الحيات
البييسة.
له موعد في السادسة صباحا من كل اثنين.
وله خريطة الأسبوع كله
من ألم
وأرق
وكلمات يطبع الغموض معناها.
له
صورة تليق بالخيال... لا غير.
الصباح، بدونها، فرح شديد المرارة.

ظلال تطوي الأرض

في المطر المجنح تولد الوحدة
بأضلاعها الممتدة
فيه يعرج وقت للوداع
ووقت للقاء
على حافة مترتبة.

في القبر - قبر كل شيء -
يولد ملكوت آخر لا أعرفه.
لا تعرفه الكائنات التي تزوره
ولا تقيم.

فيه العبور،
كما نعبر نهرا،

كأننا نجنح إلى النبع.
أترتوي؟
أنظماً أكثر؟

مطر
هذا العمر ذو القطرات
ذو الفقاعات
ذو الرغبة في التلاشي،
نصعد العقبة منحدرين،
طيور سود فوق هاماتنا
بينما الظلال تطوي الأرض.

الفهرس

- انخطاف.....5
- ذاكرة الشاعر الأنيق.....8
- الوهم.....12
- زهرة اليانس.....14
- ظل ما مر.....18
- كن.....20
- شبح المعنى.....22
- فرح لا يصل.....25
- الشاعر.....29
- الأرض.....32
- الحياة.....34
- العالم.....36
- شجرة القلب.....38
- المعتصم العلوي.....40

- 44.....قلب الأعمى.....-
49.....قلت وأنت تحاورك.....-
في جناح الغيمة تخبئ
55.....الشمس برودتها.....-
58.....وجه آخر للمساء.....-
60.....فسيفساء.....-
64.....مدارج القلق.....-
68.....كرسي من هواء.....-
71.....ليس تماما يا أمي.....-
76.....قريبا...على أجنحة الزوال.....-
80.....كن للوداع.....-
83.....واضحاً ازحف غليك أيها القلق.....-
87.....أنساب منتخبة.....-
89.....رتابة.....-
92.....ظلال تطوي الأرض.....-

